

الجمعية العلمية الإسلامية

المستجد الأصيل المبارك
القدس الشريف

بمناسبة تجديد القسم الرفي والرواق الأوسط

١٣٦٣ هـ - ١٩٤٤ م

بسم
عبد الفتاح هلمى

مدير إدارة حفظ الآثار العربية بمصر

سَمْعُ الْهَدْيِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لمحة تاريخية

للمسجد الأقصى مكانة ممتازة ومنزلة رفيعة في نفوس المسلمين فهو أولى القبلتين وثالث الحرمين وإليه يمت الوجوه في فجر الاسلام وإليه سرى من المسجد الحرام سيد المرسلين محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله » . والمقصود بالمسجد الأقصى في هذه الآية الكريمة هو تلك البقعة المباركة المحاطة بالأسوار والمعروفة بالحرم القدسي الشريف وقد كرم الله سبحانه وتعالى هذا المكان بتلك الآية الكريمة وأشاد النبي بذكره في قوله : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى » . وهو من أجل ذلك كان وما زال محط أنظار المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وموضع رعاية ملوكهم وامرائهم في مختلف العصور والأزمان .

عندما قدم عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس وزار مكان الحرم الشريف وشيد به مسجداً لم يعرف موضعه على وجه التحديد إنما يرجح أنه أقيم مكان المسجد الأقصى الحالي أي في الطرف الجنوبي من ساحة الحرم .

ويقول بعض المؤرخين إن الذي أنشأ المسجد الأقصى هو الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان سنة ٧٢ هـ (٦٩١ — ٩٢ م) كما يقول البعض الآخر إن الذي أنشأه هو الوليد بن عبد الملك . ويؤيد رأي هذا الفريق ما ورد ببعض تحريرات على ورق البردي أرسلها قرعة بن شريك عامل الأمويين على مصر في عهد الخليفة الوليد سنة ٩٠ — ٩٦ هـ (٧٠٩ — ١٤ م) يطلب فيها من أحد حكام الصعيد صناعاً ماهرين لمسجد بيت المقدس .

وسواء كان المنشئ له عبد الملك أو الوليد فإنه لم تصل إلينا أي تفاصيل عما كان عليه المسجد الأقصى في القرن الاول الهجري إذ حدثت في سنة ١٣٠ هـ (٧٤٧ — ٤٨ م) هزة أرضية أدت إلى سقوط الجانبين الشرقي والغربي للمسجد فلما كانت سنة ١٥٤ هـ (٧٧١ م) أمر أبو جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين بتجديد ما تصدع منه وسقط .

وما لبث أن حدث زلزال آخر تسبب عنه تهدم المسجد مرة أخرى
فقام المهدي ثالث الخلفاء العباسيين في سنة ١٦٣ هـ (٧٧٩ — ٨٠ م)
بإعادة بناءه وأنقص من طوله وزاد في عرضه .

ولم يبننا المؤرخون عما كان عليه تخطيط المسجد الأقصى في
مراحله الأولى إلى أن جاء المقدسي في القرن الرابع الهجري ووصف
في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) تخطيط المسجد أيام
المهدي ويؤخذ من هذا الوصف أنه كان يتكون من رواق أوسط
كبير يمتد من الشمال إلى الجنوب يغطيه جملون وينتهي من الجنوب
بقبة عظيمة تقع أعلى مقدمة المحراب . وتكتنف الرواق الأوسط من
كل من جانبيه سبعة أروقة موازية له وأقل ارتفاعاً منه محمولة عقودها
جميعاً على أعمدة اسطوانية ، ويتوسط الواجهة الشمالية باب كبير كان
يسمى باب النحاس الأعظم يؤدي إلى الرواق الأوسط رأساً وعلى كل
من يمينه ويساره سبعة أبواب يؤدي كل منها إلى رواق من الأروقة
الجانبية سالقة الذكر .

وفي سنة ٤٢٥ هـ (١٠٣٣ م) حدث زلزال ثالث أدى إلى تهدم
مسجد المهدي فقام الخليفة الفاطمي الظاهر لأعزاز دين الله بإعادة بناءه

سنة ٤٢٦ هـ (١٠٣٤ — ٣٥ م) ولم يغير من تخطيطه العباسي سوى تضييقه من الشرق والغرب بحذف أربعة أروقة من كل جانب فأصبح يكتنف الرواق الاوسط الكبير ثلاثة أروقة فقط من كل من الجانبين وتحوي الفسيفساء المذهبة التي تحلي الواجهة الشمالية للعقد الحامل للقبة كتابة بالخط الكوفي تشير الى هذا التجديد وهذا نصها : « بسم الله الرحمن الرحيم سبحانه الذي أسرى بعبد له ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله . أمر بتجديد عمارته مولانا علي أبي الحسن الظاهر لا عزاز دين الله أمير المؤمنين ابن الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الاكرميين على يد أبي محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن أثابه الله .

وفي سنة ٤٥٨ هـ (١٠٦٦ م) أمر الخليفة الفاطمي المستنصر بالله بتجديد الواجهة الشمالية وسجل هذا التجديد في كتابة كوفية حفرت بالحجر بأعلى الواجهة الشمالية للرواق الاوسط وقد احتفظنا بها في موضعها عند تجديد هذه الواجهة وهذا نصها : « بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه انيب أمر بعمل هذا الوجه مولانا وسيدنا معد أبي تميم الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه

وعلى سلفه وخلفه في نظر الامير الأجل الاعز علم الملك نصر الدولة
ذي الفضيلتين وجرى ذلك على يد الفاضل أبي الحسين عبد الرحمن بن
الحسن بن علي الانصاري المعروف بالاجوف سنة ثمان وخمسين واربعمائة.
وقد ظل الكثير من بناء الظاهر قائماً الى ما قبل التعميرات التي
تمت في السنين الاخيرة مثلاً فيما يعلو العقود التي تحمل القبة والفسيفساء
المذهبة التي أشرنا اليها والتي ما زالت موجودة الى الان والرواق
الأوسط بأعمدته وما يعلوها وبعض أعمدة وعقود القسم الشرقي .
والمرجح أن مساحة المسجد من الداخل أيام الظاهر هي نفس مساحته
الحالية أي ٦٩ متراً طولاً و ٥٢ متراً عرضاً تقريباً .

وعندما استولى الصليبيون على بيت المقدس سنة ٤٩٢ هـ
(١٠٩٩ م) اتخذوا المسجد الأقصى مكاناً لسكنى ملكهم بعد أن
أعادوا بناء الرواقين الشرقيين ونظيريهما الغربيين على نظام القبوات
المصلبة المحمولة عقودها على أكتاف مربعة القطاع مخالفين بذلك
التخطيط الأصلي أيام العباسيين والفاطميين . وبقي المسجد على هذا
الوضع من حيث التخطيط إلى ما قبل التجديد الاخير .

ولما أعاد صلاح الدين الأيوبي فتح بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ

(١١٧٨ م) أمر بإصلاح المسجد الأقصى وتجديد محرابه وكتب أعلاه بالفسيفساء المذهبة ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بتجديد هذا المحراب المقدس وعمارة المسجد الأقصى الذي هو على التقوى مؤسس عبدالله ووليه يوسف بن أيوب أبو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين عندما فتحه الله على يديه في شهور سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وهو يسأل الله إذاعة شكر هذه النعمة واجزال حظه من المغفرة والرحمة ». كما نقل اليه المنبر الخشبي الجميل الذي أمر بصنعه بحلب الملك نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٦٤ هـ (١١٦٨ - ٦٩ م) خصيصاً للمسجد الأقصى وهو من أجمل المنابر الأثرية وأدقها صناعة وتتضمن الكتابات المحفورة عليه ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمله العبد الفقير الى رحمته الشاكر لنعمة المجاهد في سبيله الم رابط لأعداء دينه الملك العادل نور الدين ركن الاسلام والمسلمين منصف المظلومين من الظالمين ابو القسم محمود بن زنكي بن آن سنقر ناصر أمير المؤمنين أعز الله انصاره وأدام اقتداره وأعلا مناره ونشر في اخلاقيين ألويته وأعلامه وأعز اولياء دولته وأذل كفار نعمته وفتح له وعلى يديه وأقر بالنصر والزلفا عيناه برحمتك يا رب العالمين وذلك في شهور سنة اربع

وستين وخمسةائة .

وفي سنة ٦١٤ هـ (١٢١٧-١٨ م) أمر الملك المعظم عيسى صاحب الشام ابن الملك العادل الأيوبي بإنشاء الرواق الذي يكون الواجهة الشمالية الحالية للمسجد وهو يشتمل على سبع فتحات معقودة اكبرها اوسطها ويقابل كل منها باب من ابواب المسجد وهذا الرواق يغطيه سبع قبوات مصلبة وقد ثبت أعلى الفتحة الوسطى لوحة رخامية مكتوب بها : « أنشأ هذه الاروقة الشمالية الملك المعظم ابو العزائم عيسى بن الملك العادل سنة ٦١٤ هـ »

وتوالت بعد ذلك اعمال التعمير والاصلاح بالمسجد الاقصى في عهد كثير من سلاطين المماليك والعثمانيين كان أهمها ما قام به الناصر محمد بن قلاوون من تجديد القبة وكتب بدأرها ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم جددت هذه القبة المباركة في ايام مولانا الساططان الملك الناصر العالم العادل المجاهد الم رابط المناغر المؤيد المنصور قاهر الخوارج والمتمردين محي العدل في العالمين سلطان الاسلام والمسلمين ناصر الدنيا والدين محمد بن السلطان الشهير الملك المنصور قلاوون الصالحى تعمده الله برحمته في شهور سنة ثمان وعشرين وسبعمائة » كما جددت الكسوة

الرخامية لوزرة جدار المحراب والشبايك الجصية الملأى بالزجاج الملون التي تعلو هذه الوزرة .

هذا وقد قام من بعده أولاده السلطان شعبان والسلطان حسن بتجديد ابواب المسجد وإصلاحات أخرى شملت نواحي مختلفة منه كما قام أيضاً السلطان قايتباي والسلطان الغورى بإصلاحات أخرى أثبت تاريخ تنفيذها جميعاً على لوحات رخامية ثبتت بأعلى الواجهة الشمالية .

تلك لمحة تاريخية عن أم الأتوار التي مر بها المسجد الأقصى المبارك إلى ان كانت سنة ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) حيث ظهر خلل خطير بالقبة أدى إلى أن استصرخ المجلس الاسلامي الأعلى بالقدس العالم الاسلامي للمساهمة في نفقات إزالة الخطر وتعمير المسجد فلي المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها الداء واقبلوا على التبرع فجمع في ذلك الوقت نيف وثمانون الف جنيه صرفت في تدعيم القبة وتجديد عقودها واعمدتها وتمت هذه الإصلاحات سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) .



اصدع المسجد

الحلل الذي حدث بالمسجد أهدراً وأسبابه

عندما شعر المجلس الاسلامي الأعلى في أوائل سنة ١٩٣٨ أن
خطراً جسيماً يهدد كيان المسجد الأقصى بادر إلى الاتصال بإدارة حفظ
الآثار العربية بمصر وكان على رأسها المرحوم محمود أحمد باشا الذي ندب
من فوره كلاً من الاستاذ محمد نافع وكيل الادارة السابق والاستاذ
محمد عبد الفتاح حلمي مفتش هندسة الآثار العربية إذ ذاك ومدير الآثار
العربية حالاً للسفر إلى القدس لمعاينة المسجد وتقرير ما يلزم له من
علاج فقاما بفحص مباني المسجد من جميع نواحيه من الداخل والخارج
وظهر لهما أن التصدع الذي حدث يتركز بحالة خطيرة في موضعين
— اولهما بالقسم الشرقي — وثانيهما — بالرواق الاوسط الكبير —
أما فيما عدا ذلك فحالة المباني لا تدعو إلى القلق فهي حافظة لكيانها ولو
أن بجهاً متفرقة منها بعض شروخ وميول بسيطة لا أهمية لها . لذلك
اتجه البحث إلى الموضعين الخطيرين آنى الذكر .

ففي القسم الشرقي ظهر أن القبوات المصلبة التي تغطي رواقه الشرقيين تحمل أتربة بارتفاع يقرب من المترين تعلوها ألواح من الرصاص . وأن الذي حدث بهذا القسم عبارة عن انفصالات في صنج العقود تبعها تفكك وشروخ في مباني المصلبات نفسها ثم ميل وتكسر مخيفان في أحد الأعمدة الحاملة لصف العقود الثالث من الشرق وكذلك تفكك في المباني بحالة خطيرة عند تلاقي أحد العقود المتعامدة مع صف العقود سالف الذكر . وأن التصدع الحادث بهذا القسم كان نتيجة للعوامل الآتية :

أولاً : بناء القبوات المصلبة بطريقة غير فنية لم يراع فيها مقاومة قوة الدفع التي لا بد من حدوثها من تأثير ثقل المصلبات وما يعلوها من الأتربة والرصاص .

ثانياً : ضعف مونة البناء وتحللها بمضي الزمن .

ثالثاً : فعل الزلازل قديماً وحديثاً وما تسبب عنه من حدوث حركة في المباني .

حدث هذا الخلل منذ سنين عولج في وقتها ببناء بعض دعائم سائدة لوقف تأثير قوة الدفع عند أرجل عقود المصلبات إلا أن ذلك لم

يجد كثيراً بدليل ظهور الشروخ والتفكك مرة أخرى سواء في المصلبات أو العقود .

ازاء هذه الحالة الخطيرة رؤي الاسراع في عمل صلبات خشبية لحمل بعض العقود المخلة ثم عمل دعامتين ساندتين إحداهما لسند العمود المائل آف الذكرو الأخرى لسند المباني المفككة وقد تمت هذه الصلبات على خير وجه وفي اقصر وقت ممكن وأصبح القسم الشرقي بذلك مأموناً وخصوصاً بعد إزالة ما كان يعلوه من أتربة .

أما الرواق الأوسط فالذي حدث به هو أن الأعمدة الحاملة لعقوده لم تقو على تحمل الضغط الواقع عليها لضعف مادة الحجر ثم لبناء هذه الأعمدة من مداميك قليلة الارتفاع وعدم التبسط بينها جيداً بالمونة مما أدى إلى حدوث شروخ وتكسر بها . ذلك ما حدث بالأعمدة ، أما المباني التي تعلو عقود هذا الرواق فقد تبين أن بالجزء الغربي منها ميلاً شديداً للخارج (جهة الغرب) بلغ حوالي عشرة سنتيمترات في المتر ، وأن المباني في هذا الجزء المائل مفككة وموتتها ضعيفة جداً وقد عولجت في وقت ما بسد فتحات الشبايك العلوية تقوية لها . وكل — ما أمكن عمله تأميناً لها تأميناً مؤقتاً هو سقي الحامات المباني بعونة السمنت .

تلك هي الاعمال التحفظية التي عملت صيانة لسلامة المسجد إلى
أن أعد مشروع الإصلاح وشرع في تنفيذه .

مشروع الإصلاح

عند التفكير في مشروع الإصلاح كان أحب شيء إلينا أن نوفق
إلى طريقة تمكنا من ترميم ما تصدع من المسجد دون الالتجاء إلى
هدم أي جزء من أجزائه إلا أن الحالة كانت قد بلغت من الخطورة
مبلغاً لم يمكن معه الترميم دون الهدم وإعادة البناء .

عندئذ أعدنا مشروع الإصلاح على هذا الأساس أي هدم القسم
الشرقي والرواق الأوسط وإعادة بناءهما .

وعند البحث في إعادة بناء القسم الشرقي وماهية النظام الواجب
اتباعه كننا امام حالتين :

الأولى : إعادة بنائه طبقاً لما هو عليه أي قبوات مصلبة ترتكز
عقودها على أكتاف مربعة القطاع في الرواقين الشرقيين وسقف مستو
محمول على صفين من العقود المرتكزة على أعمدة أسطوانية في
الرواق الثالث .

والثانية : اعادة بنائه طبقاً لتخطيطه الأصلي في المهدين العباسي والفاطمي أي صفوف من العقود محمولة على أعمدة أسطوانية تسير من الجنوب الى الشمال موازية للرواق الأوسط .

وقد استعرضنا المشروعين ورجح لدينا المشروع الثاني دون الأول — خصوصاً وأن القبوات المصلبة التي تغطي الرواقين الشرقيين عملت في عهد الصليبيين على نظام مغاير للتخطيط الأصلي للمسجد كما سبق بيانه . ولما كان الرواق الأوسط ما زال قائماً منذ التجديد الفاطمي فقد رؤي هدمه واعادة بنائه كما هو مع ابدال الجمالون الخشبي المغطي له بآخر من الحديد الصلب .

نفاصيل المشروع

روعي في اعداد المقايسة الابتدائية لمشروع الاصلاح الارتفاع بقدر الامكان بجميع مواد البناء الصالحة للاستعمال . فالأحجار المتخلفة من الهدم استخدم الكثير منها في الأساسات والأخشاب الصالحة ادخلت في عمل الجمالونات التي تغطي سقف القسم الشرقي وفي تطبيق أعلى جمالون الرواق الأوسط كما اعيد استعمال الرصاص القديم في تغطية هذه الجمالونات بعد تسيجه وتنقيته من المواد الغريبة وإعادة سبكه .

وقد استعيض عن الأعمدة الحجرية بأعمدة رخامية استوردت من إيطاليا ودقت تيجانها وقواعدها طبقاً لرسوماتها القديمة بالقدس بواسطة عمال فلسطينيين يجيدون هذه الصناعة واستبدل بالأوتار الخشبية التي كانت تربط أرجل العقود بعضها ببعض أخرى من الحديد كسيت بالخشب . هذا والحجر الذي استخدم في البناء أو في تبليط الأرضيات استخراج من معاجر فلسطين وهو حجر أبيض اللون شديد الصلابة يعرف (بمزى حلو) .

أما سقف القسم الشرقي فعمل من الخرسانة المسلحة على هيئة « قصب » نصف كروية تحيط بها أشكال هندسية وقد اختير هذا النوع من الأسقف لمماثلته للسقف الذي يغطي محراب زكريا والذي نرجح أنه من عمل الناصر محمد بن قلاوون ولأنه من ناحية أخرى لم يمكن الاستدلال على ما كان عليه هذا القسم على عهد الفاطميين .

تنفيذ المشروع

عهد المجلس الاسلامي الأعلى بالقدس إلى إحدى الشركات بهدم ما تقرر هدمه مع المحافظة التامة على باقي اجزاء المسجد ثم عهد إلى شركة أخرى بأعمال البناء وإقامة الأعمدة الرخامية والخرسانة وتبليط

الأرضيات وعمل الجملون الحديدي المغطي للرواق الأوسط وتركيبه كما عهد إلى صناع مصريين يبياض سقف القسم الشرقي وعمل الشبايك الجصية المفرغة والمحلاة بالزجاج الملون واستغرق هذا العمل حوالي السنتين . وفي صيف عام ١٩٤٣ تم ترميم القسمين الأوسط والشرقي من الواجهة الشمالية بأن استبدل بأحجارها المتآكلة والآيلة للسقوط أحجار جديدة مع احتفاظهما بتفاصيلهما المعمارية القديمة دون تغيير أو تبديل . وقد بلغت تكاليف هذا المشروع منذ البداية إلى الآن حوالي (٥٥٠٠٠) جنيه فلسطيني دفعها المجلس الاسلامي الأعلى من ميزانية الأوقاف العامة . وأعدت إدارة حفظ الآثار العربية هذا المشروع وقامت بالاشراف على تنفيذه من البداية للنهاية .

وقد كان الشروع في هذا العمل سنة ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) والفراغ منه في سنة ١٣٦٢ هـ (١٩٤٣ م) .

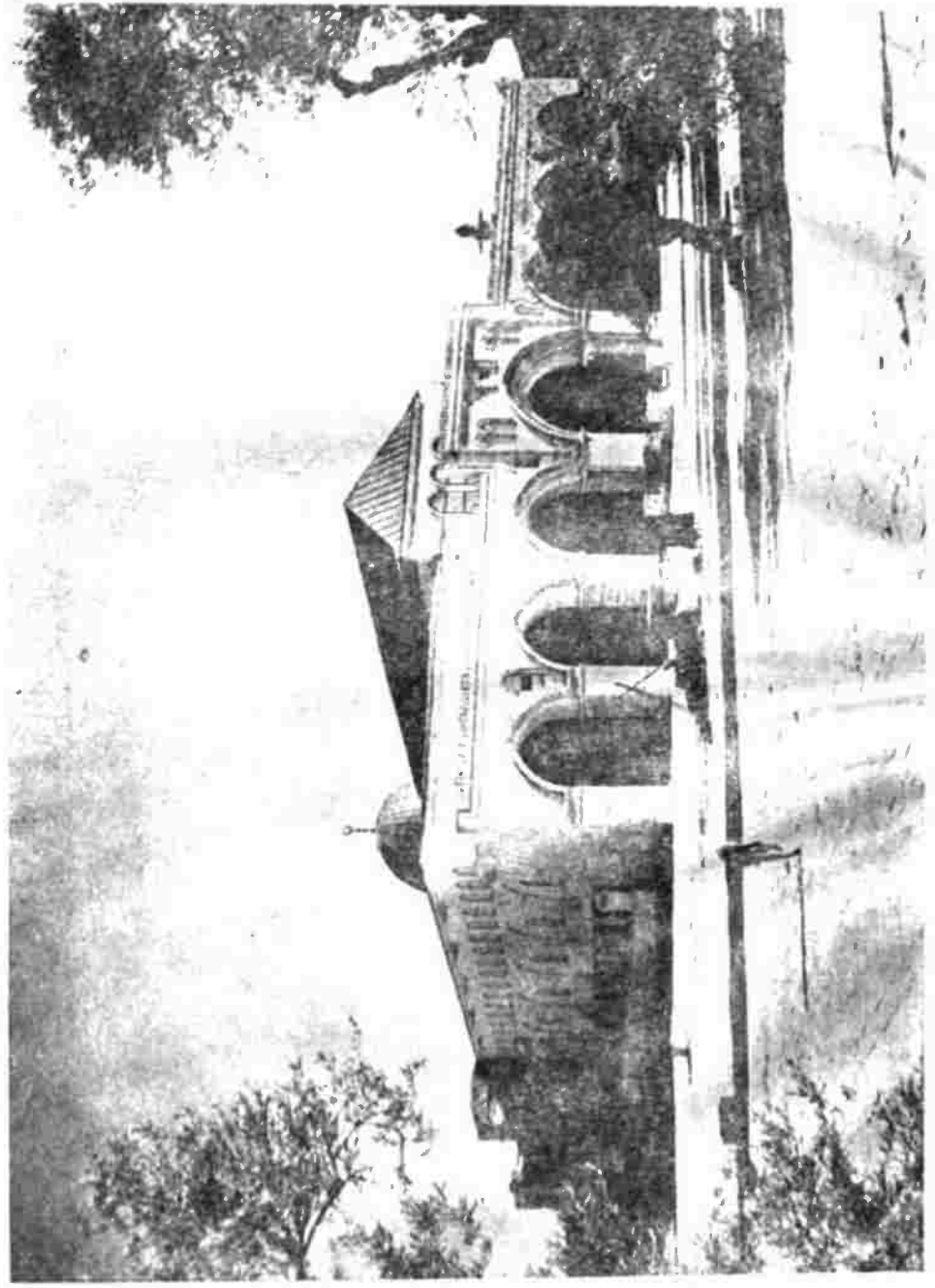
سقف الرواق الأوسط

كان يغطي هذا الرواق جملون من الخشب لا يحجبه من الداخل سقف افقي وكان بأسفله كمرات خشبية بطرف كل منها تجايد من قطع الخشب مختلفة الأطوار محفور عليها زخارف متنوعة يرجع طرازها

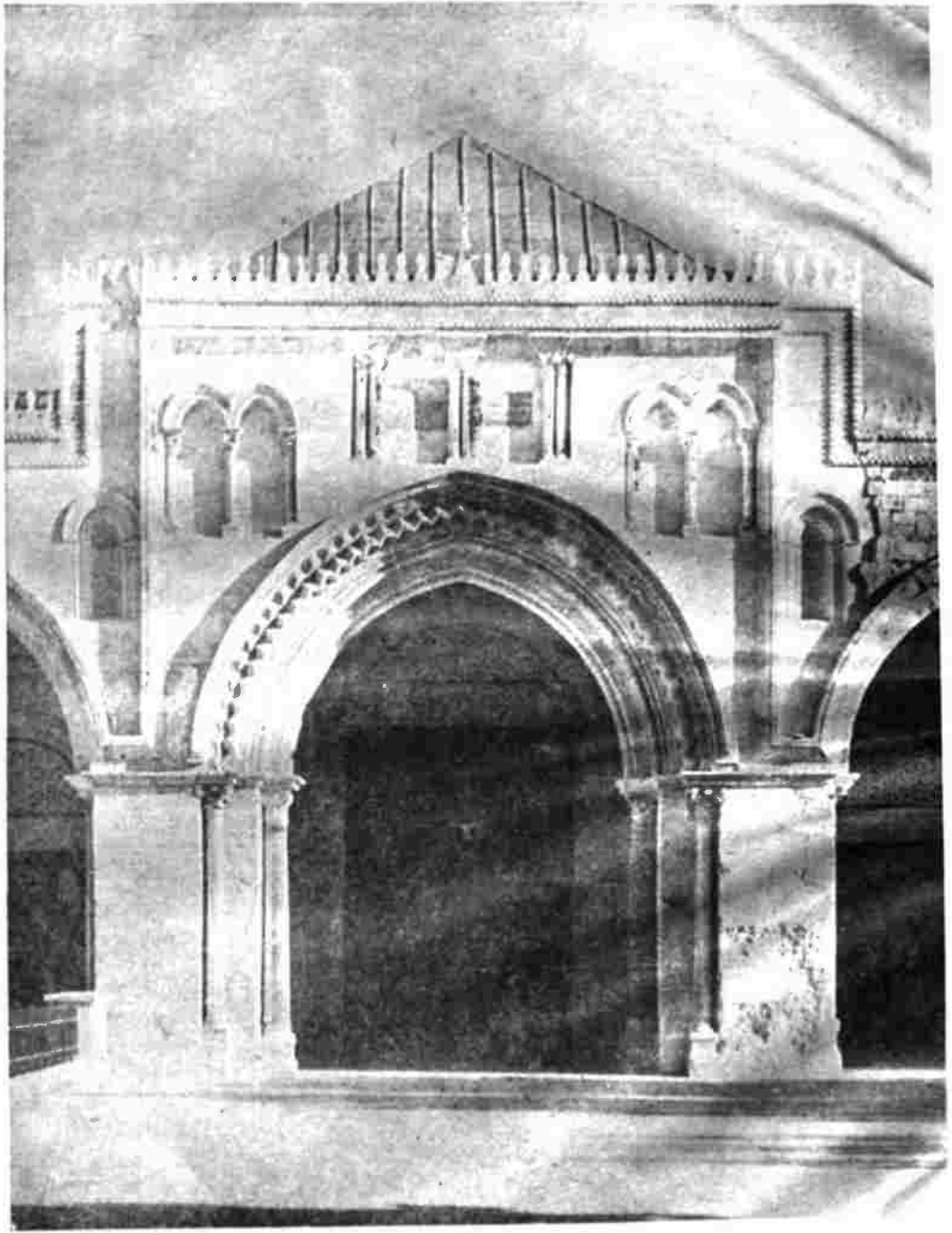
إلى القرن الثاني الهجري . وفي مشروع الإصلاح الأخير استعيض عن الجملون الخشبي بآخر من الحديد ترك مؤقتاً بغير سقف افقي يحجبه من الداخل إلى أن اعتمدت الحكومة المصرية مبلغ (١٠٠٠٠) جنيه لعمل هذا السقف الذي أعدت له إدارة حفظ الآثار العربية مشروعاً راعت في تصميمه روح الزخارف الفاطمية زخارف ذلك العصر الذي جدد فيه المسجد تجديداً شاملاً أدر كنا الكثير من معالنه وقد قامت هذه الإدارة بالاشراف على تنفيذه واشترك في عمله صناع من مصر يعاونهم آخرون من فلسطين واستخدم في نقشه وتذهيبه اوراق الذهب من عيار ٢١ قيراطاً كان لحكومة فلسطين والسفارة البريطانية بالقاهرة الفضل في الحصول عليه من انكلترا .

وكان الشروع في عمل هذا السقف والفراغ منه في سنة ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م) .

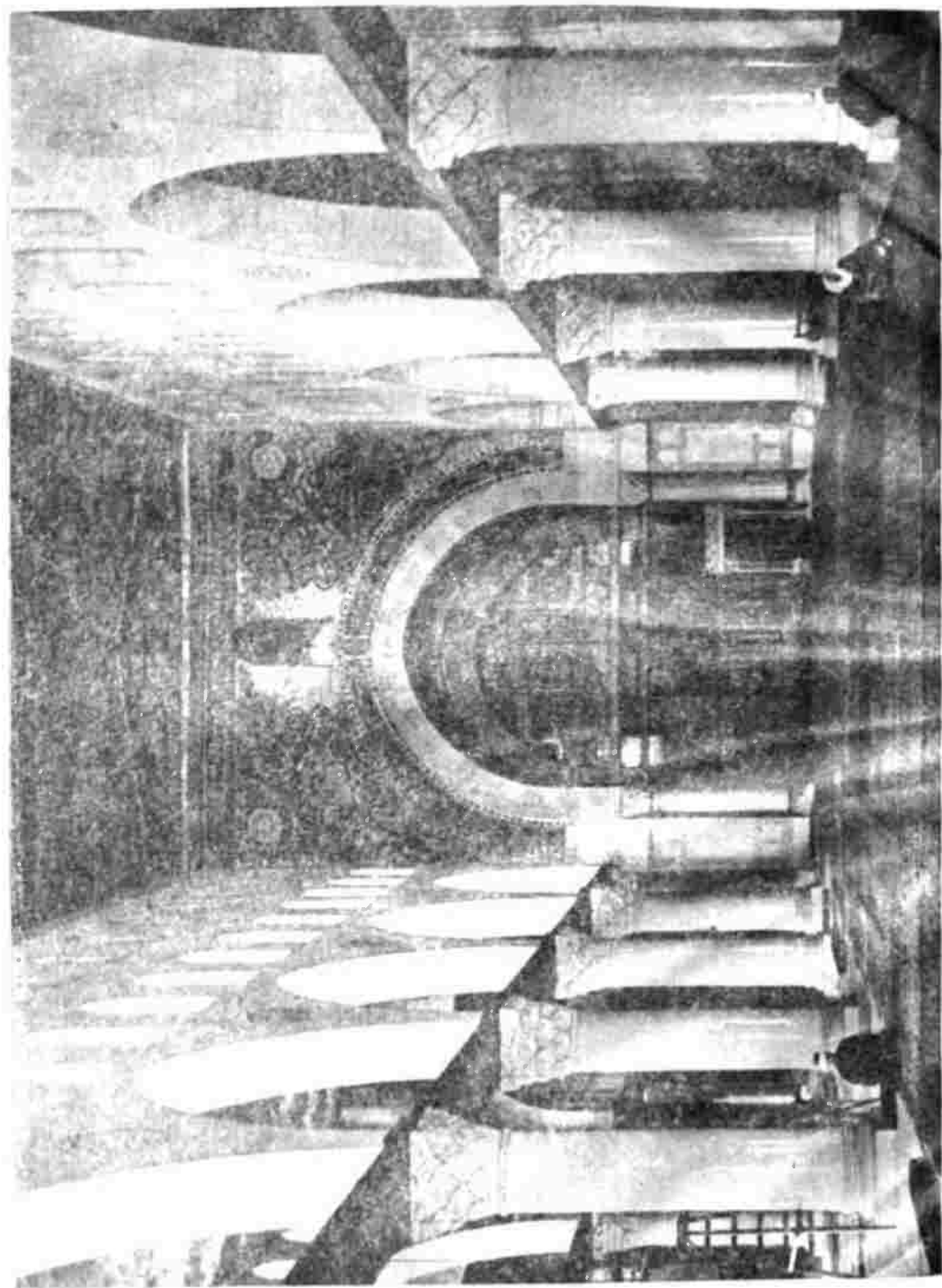
ولا يفوتنا في هذا المقام أن نتوه بمزيد الشكر وعظيم التقدير بتلك المساعدة القيمة التي أدتها حكومة فلسطين لتسهيل تنفيذ هذا العمل الجليل فكانت لا تتوانى في تلبية ما يتطلبه العمل من حديد واسمنت وخشب في أوقات عز فيها الحصول على هذه المواد بالنسبة لظروف الحرب .



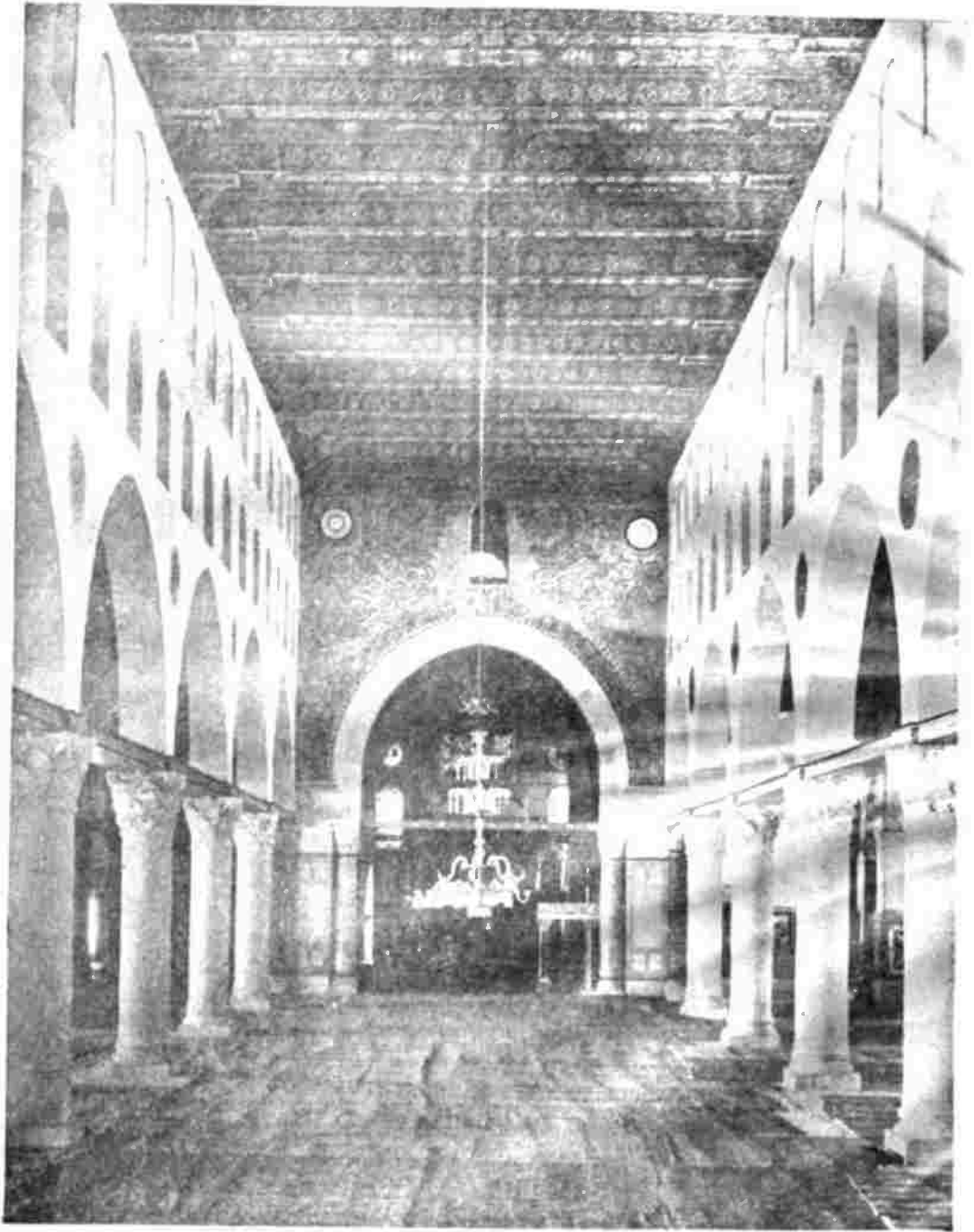
منظر عام للمسجد الأقصى المبارك بعد إصلاح الواجهة الشرقية منه وتجديد سقفه الخشبى



المدخل الرئيسي للمسجد الأقصى المبارك (مدخل الرواق الأوسط)



الرواق الأوسط بعد تمام السقف الحلي المجدد وقبل الزخرفة



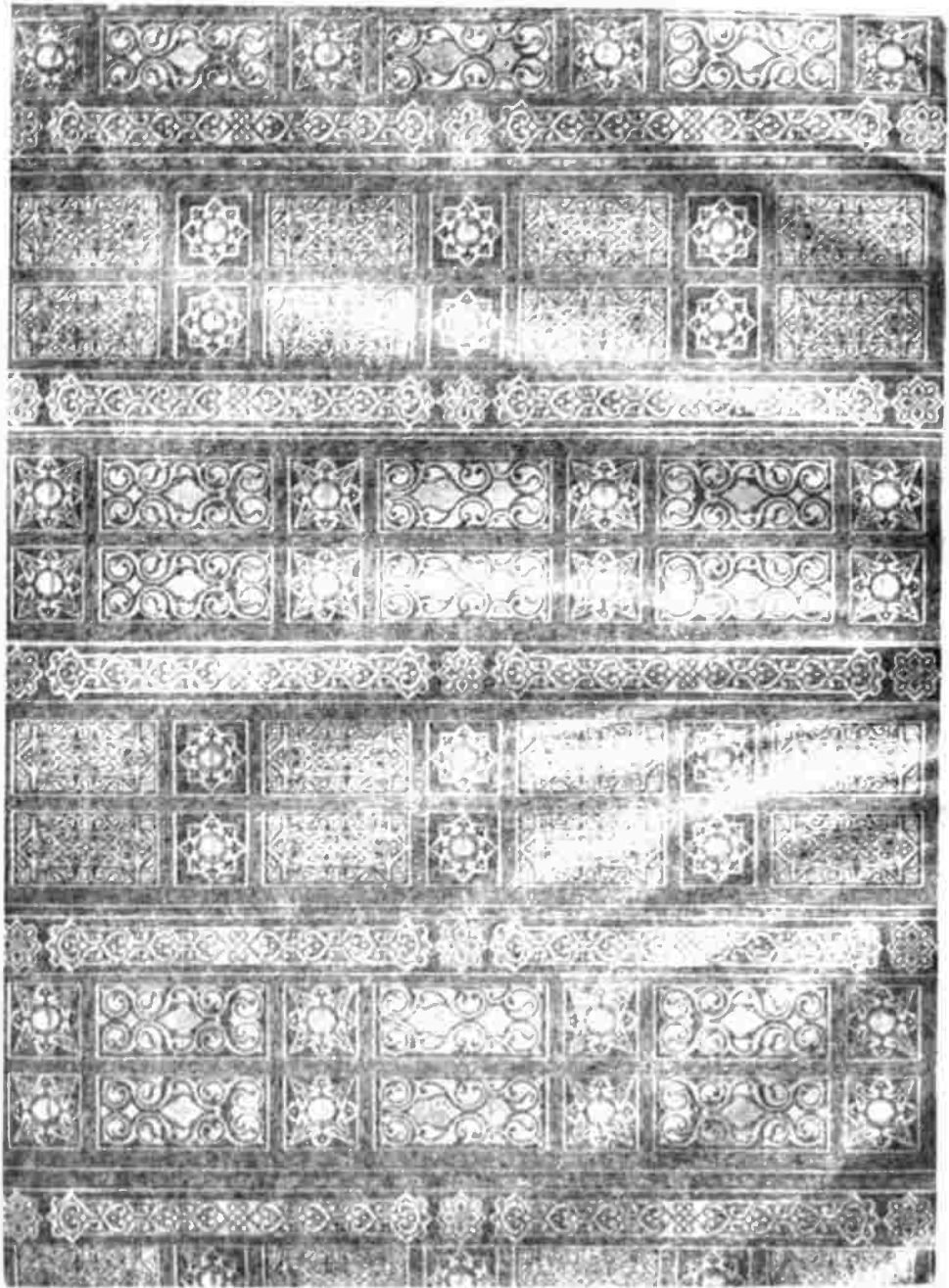
الرواق الأوسط في المسجد الأقصى المبارك بعد تجديده وتذهيب سقفه



القسم الشرقي من المسجد الأقصى المبارك بعد تجديده



محراب المسجد الأقصى كما يظهر من نهاية الرواق الأوسط



النقوش العربية الجميلة التي تزين سقف الرواق الاوسط بعد تجديده

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ سَمِعْتُ
الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ يَقُولُ سَمِعْتُ
الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ يَقُولُ سَمِعْتُ
الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ يَقُولُ سَمِعْتُ
الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ يَقُولُ سَمِعْتُ
الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ يَقُولُ سَمِعْتُ
الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ يَقُولُ سَمِعْتُ

اللوحة التذكارية لأعمال الإصلاح (في مدخل الرواق الأوسط)